

الاستشراق وتأثيره الثقافي على اللغة (الأبعاد الفكرية والإسهامات المتبادلة)

Orientalism and its Cultural Impact on Language (Intellectual Dimensions and Mutual Contributions)

إعداد الدكتور/ عبدالله بن حمود بن ناصر البطاشي

دكتوراه في اللغة العربية، سلطنة عُمان

Email: abdullah99448234@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وبيان نشأة الاستشراق وتحديد أبرز أهدافه، والتعرف على أبرز مدارس الاستشراق وتصنيفاتها المختلفة، وإبراز مكانة اللغة العربية ومكانتها في التراث الإنساني والحضاري، واستعراض جهود بعض المستشرقين تجاه اللغة العربية، سلباً أو إيجاباً، وتحليل أثر الاستشراق على اللغة العربية والفكر العربي بشكل عام، وكذلك دراسة المستشرقين الغرب للمشرق العربي، بما يشمل دينه وثقافته وتاريخه، وناقش جذور هذا التوجه الاستشراقي وأهدافه، مسلطاً الضوء على تفاعل الثقافات الشرقية والغربية، ومع إيجابيات الاستشراق التي ساهمت في الثقافة العربية إلا أنه لا يخلو من النزعة إلى السيطرة السياسية والفكرية. وتأتي أهمية البحث كونه يظهر الجهود الثقافية للمستشرقين، ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، لكونه الأنسب في دراسة المفاهيم وتتبع النشأة التاريخية وتحليل مواقف المستشرقين وآثارهم. ويُعد هذا المنهج ملائماً لطبيعة البحث التي تجمع بين العرض التاريخي والنقد الفكري. وتوصل البحث إلى أن الاستشراق أصبح علماً مستقلاً بذاته وقد تحددت معالمه واتضحت أفكاره وعرفت أقطابه. كذلك فالاستشراق بما فيه من سلبيات ودسائس ضد الإسلام وأهله ولغته إلا أنه جاء بخير وخدم وقدم جهوداً لم يسبق إليها، ولكن يبقى لا بد أن نكون حذرين مما يقدمه لنا فقد يدس السم في العسل. وأن المستشرقين على فئات متحدة أهدافهم إلا أنه هناك من بينهم مخلص وحيادي، وقد آل الحال ببعضهم أن يعلن إسلامه. وأن هناك إشارة على تكاتف المستشرقين وتكالبهم منذ العصور الماضية وحتى يومنا هذا تشير على أن الإسلام وأهله ومقدساته ولغته محل هدف الأعداء فعلينا أن نكون يقضين وذلك من خلال التسلح بالعلم والمعرفة لسد أي ثغرة ينفذ من خلالها المشترق. وفي ضوء ما توصل له البحث يقدم الباحث مجموعة من التوصيات المهمة والمفيدة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، التأثير الثقافي، اللغة العربية

Orientalism and its Cultural Impact on Language (Intellectual Dimensions and Mutual Contributions)

Abstract:

This research aims to clarify the concept of Orientalism both linguistically and terminologically, trace its historical emergence, and identify its key objectives. It also seeks to explore the major schools of Orientalism and their classifications, highlight the status of the Arabic language within human and civilizational heritage, review the efforts of certain Orientalists—whether positive or negative—towards the Arabic language, and analyze the overall impact of Orientalism on the Arabic language and Arab thought. Furthermore, the study examines how Western Orientalists have approached the Arab world, including its religion, culture, and history, discussing the roots and aims of Orientalist thought, while shedding light on the interaction between Eastern and Western cultures. Despite the positive contributions of Orientalism to Arab culture, the study acknowledges the underlying tendencies toward political and intellectual dominance. The significance of this research lies in its presentation of the cultural efforts made by Orientalists. The study adopts a descriptive-analytical methodology, which is most suitable for examining concepts, tracing historical development, and analyzing the positions and impacts of Orientalists, making it well-aligned with the research's historical and critical nature.

The research concludes that Orientalism has become an independent academic discipline with defined features, well-established ideas, and prominent figures. Despite the negative aspects and conspiracies embedded in Orientalist approaches toward Islam, its followers, and their language, Orientalism has also yielded beneficial outcomes and unprecedented scholarly contributions. However, caution remains essential, as some works may contain hidden agendas under the guise of academic interest. While many Orientalists share unified goals, some are sincere and objective, with a number having even embraced Islam. The continued collaboration and collective effort among Orientalists from past to present underscores the persistent targeting of Islam, its followers, its sacred elements, and its language. Therefore, vigilance is necessary, achieved through knowledge and scholarly engagement to close any gaps that may be exploited by Orientalist narratives. In light of these findings, the researcher presents a set of important and constructive recommendations.

Keywords: Orientalism, cultural influence, Arabic language

1. المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وجعل اللغة العربية وعاء له ومن أشرف اللغات، وحفظها من الضياع والاندثار بحفظ كتابه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [سورة الحجر: الآية 9] والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، النبي العربي أفصح من نطق بالضاد، القائل أنا أفصح العرب بيد أني من قريش. أما بعد،

مرت باللغة العربية قرون بلغت فيها ذروة الشرف والسؤدد، وكان لها أسواق وبلغاء يحتكم إليهم، وكان اللسان العربي يتدفق سليقة دون تكلف أو رجوع إلى قواعد نحوية أو صرفية والكل فيها سواء الرجل البدوي ورجل الحضارة والمدن، والشيخ والصغير، والعالم والأمي يتحدثون بطلاقة عربية دون لحن، وعندما كثرت الفتوحات الإسلامية واختلط اللسان العربي بالأعاجم وظهرت اللحن انبرى رجال مخلصون لدينهم ولغتهم لسد هذه الثغرة وذلك من عهد الصحابة الكرام ومرورا بعصر التابعين وتابعيهم حتى يومنا هذا، فقد أقاموا قواعد وأسسوا مبادئ للغة يرجع إليها الطلبة والمحب للنحو والصرف والفصحى بصفة عامة.

ولقد كاد أعداء الله للإسلام وتنوعت طوائفهم وأساليبهم فمنهم من يطعن في الدين وثوابته كالأركان والأصول والجزئيات وكذلك في تشريعاته ومنهم من طعن في القرآن الكريم متخذ اللغة مطية يخلص بها إلى كتاب الله من خلال التشكيك فيها والظعن ودحض ثوابتها وهو من اللغة العربية مفلس.

هذا وإن المستشرقين قد أخذوا بنصيب وافر من هذه الأساليب وكل في فنه وتخصصه بوجه سهمه المسموم ضد الإسلام، ولأهمية هذا الموضوع وأثره على اللغة العربية حاولت أن أبحث بجهد المقل المبتدئ عن آثار المستشرقين في اللغة العربية إيجابا وسلبا، وجعلته في مبحثين لكل مبحث ثلاثة مطالب، مع علمي بأن لكل جهد بشري نقص وسقطات لاسيما عندما تكون من مبتدئ مثلتي فالله أسأل العون والستاد والتوفيق.

1.1. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الاستشراق من حيث المفهوم والنشأة والمدارس، وكذلك استكشاف علاقته باللغة العربية. ومن خلال مباحثه، يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- توضيح مفهوم الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية.
- بيان نشأة الاستشراق وتحديد أبرز أهدافه.
- التعرف على أبرز مدارس الاستشراق وتصنيفاتها المختلفة.
- إبراز مكانة اللغة العربية ومكانتها في التراث الإنساني والحضاري.
- استعراض جهود بعض المستشرقين تجاه اللغة العربية، سلبا أو إيجابا.
- تحليل أثر الاستشراق على اللغة العربية والفكر العربي بشكل عام.

2.1. أهمية البحث:

يُعد موضوع الاستشراق من المواضيع ذات الأثر العميق في فهم العلاقة بين الشرق والغرب، حيث ارتبط بحركة علمية وفكرية ظهرت منذ قرون، واهتمت بدراسة الحضارات الشرقية، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية واللغة العربية.

وقد تنوعت دوافع المستشرقين بين العلمية والدينية والسياسية، مما أفرز مواقف وأعمالاً مختلفة تتطلب الوقوف عندها بالنقد والتحليل.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه لا يكفي بتعريف الاستشراق ورصد نشأته ومدارسه، بل يتعمق في دراسة تأثيره المباشر على اللغة العربية، التي كانت من أبرز ميادين اهتمام المستشرقين. كما يسلط الضوء على مكانة اللغة العربية وجهود بعض المستشرقين في خدمتها أو النيل منها، مما يساعد على تكوين رؤية نقدية متوازنة تجاه هذا التيار الفكري وآثاره.

3.1. منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، لكونه الأنسب في دراسة المفاهيم وتتبع النشأة التاريخية وتحليل مواقف المستشرقين وآثارهم. ويُعد هذا المنهج ملائماً لطبيعة البحث التي تجمع بين العرض التاريخي والنقد الفكري.

2.1. خطة البحث:

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته، ومدارسه

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: نشأته وأهدافه

المطلب الثالث: مدارس الاستشراق

المبحث الثاني: مكانة اللغة العربية، وجهود المستشرقين، وتأثير الاستشراق

المطلب الأول: مكانة اللغة العربية

المطلب الثاني: ذكر بعض المستشرقين وجهودهم تجاه اللغة

المطلب الثالث: تأثير الاستشراق

ختاماً أزعم أنني بذلت وسعي في هذا البحث المتواضع أملاً من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في نقل الفكرة المنشودة والهدف المقصود.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته، ومدارسه

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً

الاستشراق لغة: شرق: شرقت الشمسُ تشرقُ شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع المشرق، والتشريقُ: الأخذ في ناحية المشرق يقال: شتان بين مشرقٍ ومغربٍ، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق. وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، ويستعمل في الشمس والقمر والنجوم، وأشرق الرجلُ: أي دخل في شروق الشمس وفي (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) [سورة الحجر: الآية 73] أي مصبحين، وأشرق القوم أي دخلوا في وقت الشروق كما تقول أفجروا وأصبحوا وأظهروا، فأما شرقوا وغربوا فساروا نحو المشرق والمغرب وفي التنزيل (فَأَنْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) [سورة الشعراء: الآية 60] أي لحقوهم وقت دخولهم في شروق الشمس وهو طلوعها (ابن منظور، 1993، ج7، ص 94).

الاستشراق: مفردة تم صياغتها على وزن استفعال، وأصلها (شَرَقَ) أضيفت إليها الألف والسين والتاء، تفيد الطلب فيكون معناها (طلب الشرق).¹

استشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية)، يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة (رضا، بدون تاريخ، ج3، ص 310).

الاستشراق اصطلاحاً: لقد تباينت آراء العلماء وأفكارهم في تحديد مفهوم الاستشراق، فكل منهم نظر إليه من زاوية تعمق في دراسته وجمال فكره في معطياتها فخرج بتعريف يغاير إلى حد ما تعريف ما ذهب إليه الأول وما ذلك إلا لاختلاف المعطيات والتصورات، حيث يذكر الدكتور ساسي الحاج عن مفهوم الاستشراق "إن الاستشراق يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة ومتكاملة في آن واحد، فهو أحياناً يراد به ذلك العلم الذي تتناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب، وأحياناً يقصد به أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعنقي والأيديولوجي بين الشرق والغرب، ومرة أخرى يحدد مفهومه بالناس الذين يقومون به ونعني بهم المستشرقين وهم الكتّاب الغربيون الذي كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية" (الحاج، بدون تاريخ، ج1، ص 18)، كما يرى أحمد حسن الزيات² أن الاستشراق هو دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأهمه ولغاته وأدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته، ويصف محمد عبد الغني حسن الاستشراق " أنه اشتغال غير المستشرقين بدراسة الشرق وحضارته وفلسفاته ودياناته وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله".

ومهما تكن من مفاهيم فإن الاستشراق هو علم قائم بذاته له كيانات إقليمية وبشرية ودوافع يحاول علماءه وأنصاره معرفة ما عند أهل الشرق من علوم ومعتقدات دينية وحضارية وتاريخية وفنية ودراسة لغتهم وآدابهم، وأما المستشرق فهو العالم المتخصص في دراسة فن معين من علوم أهل الشرق وهو من أهل الغرب.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق وأهدافه

مما لا شك فيه بأن العلاقة بين الشرق والغرب كانت قائمة منذ عصور قديمة وتتنوع هذه العلاقات بحسب المصالح المتبادلة بينهما، ولا غرابة أن الشرق يتمتع بموقعه الجغرافي وتراثه الحضاري وتاريخه الحافل بالبطولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد كان محطة إبداع ثقافي وقامت فيه ثورات وحروب قبلية وغيرها وشرف بوحى السماء؛ لهذه الأسباب وغيرها نشأة حركة الاستشراق ولكن من الصعوبة بمكان تحديد الفترة الزمنية التي تشكلت فيها هذه الحركة فمنهم من يؤرخها بالدولة الأموية في القرن الثاني الهجري وكان للراهب يوحنا الدمشقي دوراً هاماً في نشاط حركة الاستشراق وذلك من خلال نشره كتابين بعنوان (حياة محمد، حوار بين مسيحي ومسلم)، ويؤرخها آخرون بالدولة الإسلامية في الأندلس وبعضهم يراها في أيام الصليبيين، ومهما يكن من أمر فإن الاستشراق حقيقة قائمة وتحديد نشأته حرفياً لا تعيننا بقدر ما نأخذ حذرنا منه ونستعد له ونستغله في ما ينفع أمتنا وديننا ونتجنب شبهاته ودحضه فالاستشراق سلاح ذو حدين. ويمكننا القول بأن الاستشراق نافع وقدم ثماراً

أهداف الاستشراق وفنائه:

إن أهداف الاستشراق لا يمكن لمثلي أنا يجملها في هذه السطور ولكن محاولة بالمشاركة في هذا المضمار، فما من شك بأن

¹ - www.threads.defense – arab.com

² أحمد حسن الزيات باشا، ولد في إبريل 1968. من كبار رجال النهضة القفافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس مجلة الرسالة.

المستشرق يطمح إلى غاية من وراء بحوثاته ودراسته للفن أو التخصص الذي عكف عليه وبالجملة هناك بعض الأهداف وهي:-

1- الأهداف الدينية: وتتمثل في تشكيل المسلمين في دينهم وعقديتهم ونبههم وقرأنهم وشرائعهم و النيل من الفقه الإسلامي بوصفه مستمد من الفقه الروماني وتشويه الإسلام والعمل على تنصير المسلمين والطعن في اللغة العربية والتقليل من شأنها وإلقاء الشبه حولها ووضع العراقيل عند تدريسها ونشر مبدأ اللهجات العامية.

2- الأهداف السياسية: يحصل هذا من خلال نشر الفتن وإلقاء بذرة الخلاف والشقاق بين الشعوب العربية لا سيما القيادات السياسية والعمل على فصل الدولة عن الدين، وزرع الفتن والعراقيل التي من شأنها تزعزع الأمن وتشتت الفكر، والثمرة هي الخلاف الذي يحصل بين الأمة العربية أو الشعب الواحد فيما بينهم حتى يتحقق لهم المطلب وتمضي أفكارهم وتنشب أظفارها بين أفراد الأمة ممزقة وتفري أديمها.

3- الأهداف النفسية: وهذه قد تكون في بداية الأمر شريفة المنزع إن حفظت من نزعات النفس الشريرة والتعصب والهوى، فإن من الطبيعي في الإنسان وهو عنصر حي يفكر بأن تكون له رغبات ودوافع نحو التطلع لما عند الآخرين من تراث والاطلاع على رغباتهم وميولاتهم الشخصية وموارد اقتصادهم والتعرف على دينهم وطقوساته وما عندهم من إرث ثقافي وحضاري ومعرفة طبيعة بلدانهم من الناحية الجغرافية والسياحية والتاريخية.

4- الأهداف الاستعمارية: يعود هذا الهدف إلى قوة الإسلام وفتوحاته وسحقه للامبراطوريات وانتشاره في جزء كبير من أراضيها، فقد تولدت لدى هؤلاء المستشرقين حب التحرر والانتقام من خلال الحروب والتي تمثلت في الحروب الصليبية ولا سيما عندما سقطت الأندلس في أيديهم، فحاولوا بطريقة أخرى وهي ضرب الإسلام في عقر داره من خلال التسلل إلى تعلم لغة أهله وآدابهم ومبادئهم ومن ثم يتمكنون من احتوائه وعدم انتشاره والسيطرة عليه فكريا وجغرافيا واجتماعيا.

فئات المستشرقين:

وهنا يمكن لي أن أسرد على عجلة فئات المستشرقين على حسب اتجاهاتهم المختلفة:

1- فئة أهتمت بالأساطير والخزعبلات والخرافات والتي تنشرها عن الإسلام كالقصاص والأباطيل المضللة والمقصد الأسمى منها رسم صورة سوداوية عن الإسلام والتشويه مع العلم بأن هذه الفئة لم يكتب لها البقاء طويلا وكانت بداية الاستشراق.

2- فئة اندست تحت ستار البحث العلمي والاستفادة من العلوم الإسلامية على أنها الأصل.

3- فئة من المستشرقين حاولت تحقيق الأهداف التجارية والمصالح الاقتصادية.

4- فئة كانت واضحة المعالم فقد أخذت بتلفيق التهم والتشكيك في الدين الإسلامي ويكيلون التهم على الإسلام ونبه محمد صلى الله عليه وسلم.

5- فئة من المستشرقين كانوا موضوعيين في دراساتهم وكتاباتهم عن الإسلام وغيرها من العلوم.

المطلب الثالث: مدارس الاستشراق

فيما سبق أشرنا بأن الاستشراق علم مستقل له كيانات إقليمية ينطلق منها ودوافع يطمح إلى تحقيقها ورغبات يحث الخطى إلى إبرازها على أرض الواقع وقد تكون هذا الأهداف شخصية أو تحت مظلة جماعات لها أغراض تخدم شعوبها وبني جلدتها

ولكي يحقق هذا الفكر أهدافه فلا بد من حاضنات ومرجعية قيادية تنظم سيره وتحدد مبادئه وأهدافه وتذلل العقبات أمامه سواء كانت مادية أو معنوية، وتعنى بتدريس علوم اللغة وتسليح المستشرق بعلم الشرح حتى يكون على بصيرة من أمره ومن هذه المدارس :-

1- المدرسة الفرنسية: (النبهان، 2003، ص 22)

وقد اهتمت بالجوانب اللغوية والأدبية ومن أبرز أعلام هذه المدرسة:

- أرنست ريناي ولد عام 1822م، ألف كتابا عن ابن رشد وكيف أثرت عليه فلسفته، افترى على الإسلام وتصدى له جمال الدين الأفغاني ورد تلك الافتراءات.
- ليفي بروفسال، ولد وتعلم في الجزائر (1894 – 1955)، أهتم بالمخطوطات العربية ونشرها، من كتاباته كتابات عربية في إسبانيا و الحضارة العربية في اسبانيا.
- مكسيم رودنسون ولد في السادس عشر من يناير 1915م، شديد التدقيق والتمحيص ألف (كتاب محمد) وهو قراءة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

2- المدرسة الإنجليزية: (النبهان، 2003، ص 26)

من المدارس الأكثر صلة بالشرق وتتميز بالعمق والدقة وكانت على علاقة مع العراق ومنطقة الخليج ومصر وفلسطين ومن أبرز أعلام هذه المدرسة

- رينولد نيكلسون (1868-1945) اهتم بالتصوف الإسلامي يعد من أبرز المستشرقين في هذه المدرسة، كتب مقالات كثيرة عن التصوف في الإسلام وأهدافه.
- السير توماس ارنولد، متوفى سنة 1930م، كان أستاذا بمدرسة اللغات بلندن ومن المعجبين بالإسلام.
- مرجليوث، المتوفى 1940م، كان أستاذا بجامعة أكسفورد ورئيسا لتحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، أهتم بالمخطوطات العربية في المتحف البريطاني.

3- المدرسة الألمانية: (النبهان، 2003، ص 30)

تتميز هذه المدرسة بالجدية والعمق والدقة، وكان له دورا بارزا في مجال البحث والدراسة، ومن أبرز علمائها:-

- جوزيف شاخت (1902-1969) عين أستاذا للدراسة الشرقية، نشر كتب فقهية منها (كتاب الحيل والمخارج) وكتاب (اختلاف الفقهاء).
- تيودور نولدكه، المتوفى 1930م اشتهر بأسلوبه العلمي وسعة علمه، كان يعدّ شيخ المستشرقين، له كتابات في تاريخ النص القرآني والتراث العربي والشعر الجاهلي.

المبحث الثاني: مكانة اللغة العربية، وجهود المستشرقين، وتأثير الاستشراق عليها

المطلب الأول: مكانة اللغة العربية

كانت اللغة العربية ولا زالت تملك قلوب أهلها ومحبيها كيف لا وهي اللغة الخالدة لغة القرآن و تحمل كل مقومات الرقي والحضارة الإنسانية، حتى اللغات الأخرى تأثرت بها فنقلت بعض من مفرداتها كاللغات الأوروبية واللاتينية، ومما يزيد شرفا

بأنها اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون وعاء لكتابه العزيز، وقد حنَّ النبي صلى الله عليه وسلم على تعلمها، ومما اكتسب اللغة قوة ومكانة بين أهلها أنها ذات خصائص قلَّ أو يندر أن نجد لها فيما سواها حيث أن مفرداتها غنية جدا وقابله للزيادة والاشتقاق، حيث يمكن أن نصيغ مفردات جديدة من الجذور، وكذلك قد بلغ الأمر بأن حروفها الهجائية تستخدمها بعض الشعوب مثل الهند وبلاد الترك والفارسية والأندونيسية والأمازيغية غيرها من البلدان لدرجة بلغ ببعض علماء تلك البلدان كتابة تأليفاتهم ومنشوراتهم باللغة العربية، ومما يزيد أهلها تعلقا بها وبعد أكثر من ألف وخمسمائة سنة لا زال أبناؤها يفهمون ما كتب شعراؤهم وأدباؤهم في سالف العصور من معلقات وقصائد ونثر دون غموض في معاني الكلمات، ومما يزيد مكانة سيطرتها على الفكر الإسلامي فصارت هي لغة الفكر والثقافة وانتشرت في بلدان العالم كالشام والعراق.

دور علماء اللغة العرب والمسلمين:

لقد كان الإنسان العربي يحافظ على لغته من خلال حفظ الأشعار والخطب بجميع أنواعها وينقل ذلك للأجيال اللاحقة لتكون اللغة متينة البنين واللسان سليم من اللكنة والعجمة، وعندما لاحظوا بأن اللسان العربي بدأ يتأثر بالأعاجم فقد انبرى ليتصدى لهذا الزحف علماء نذروا حياتهم لخدمتها والذود عن حياضها فقد دونت صحف وكتب في مختلف مجالاتها كالنحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها من المجالات اللغوية فمن أمثال هؤلاء العلماء العرب منهم وغير العرب:

- 1- الصحابي الجليل كرم الله وجهه علي بن أبي طالب حيث كان له فضل السبق في تعقيد علوم النحو.
- 2- أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني واضع علم النحو كما أنه أول من شكل أحرف المصحف الكريم، من خلال وضعه النقاط على الأحرف العربية، أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن جلس ابن نفثة بن عدي بن الدئل، تابعي بصري، أول من وضع في النحو (الأندلسي، بدون تاريخ، ص 329).
- 3- الخليل بن أحمد الفريدي المتوفى سنة 170 هجري، تخصص في دراسة الشعر وواضع العروض، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، اللغوي النحوي الناسك (الأندلسي، بدون تاريخ، ص 380).
- 4- سيويوه عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي المتوفى سنة 180 هجري.
- 5- الكسائي علي بن حمزة الأسدي الكوفي المتوفى 189 هجري (ابن الأثير الجزري، 1980، ج 3، ص 97)، إمام القراء أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة ابن حبيب الزيات وهو ملثف بكساء فقال: من يقرأ؟ فقيل له صاحب الكساء، فبقي عليه، وقيل أحرم في كساء فنسب إليه.
- 6- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني (322هـ-392هـ).

وغيرهم كثير لا يمكن لي في هذه السطور البسيطة الإشارة إليهم وإلى فضلهم .

المطلب الثاني: بعض المستشرقين وآرائهم وجهودهم تجاه اللغة.

هناك كثير من المستشرقين منهم من تخصص في الأدب ودرسه وقام بالتصنيف والتأليف ومنهم من سطر كلمات إعجاب عن اللغة العربية ولا يهمننا هنا في هذا المطلب تعصب المستشرق أو حياديته تجاه اللغة وإنما نسرد لندل على بعض جهودهم وما سطرتهم أقلامهم ومن هؤلاء:-

بروكلمان:

بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى (الجندي، بدون تاريخ، ص 305)، ومن جهود هذا المستشرق تجاه اللغة العربية تأريخ الأدب العربي والذي يعتبر من أشهر مؤلفاته، وفي هذا الكتاب ذكر ما كُتب عن اللغة العربية في العلوم المختلفة من المخطوطات ووصفها ومكان وجودها و ترجم هذا الكتاب في ستة مجلدات، والعلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري (رسالة دكتوراه، 1890م)، تاريخ الآداب العربية، كتاب تلقيح أهل تأثير في مختصر السير والأخبار، المعجم السرياني.

جورج بوست:

لغة العرب تفوق كل لغة في الانتشار إذا نظرنا إلى اتساع الأقطار التي لها فيها سلطان، وهي تفوق كل لغة إذا نظرنا إلى التأثير في مستقبل الأعمال البشرية (الجندي، بدون تاريخ، ص 308)، لم تكن له مؤلفات خاصة باللغة العربية ولا بالأدب وإنما كتب في مجال تخصص، حيث كان طبيبا وجراحا ومن علماء النبات، تعلم العربية وألف كتاب بعنوان نبات سورية وفلسطين ومصر وكتاب مبادئ علم النبات والمصباح في صناعة علم الجراح.

جاك بيرك (الفرنسي)

إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية (الجندي، بدون تاريخ، ص 304)، من أعماله ترجمة معاني القرآن الكريم، الإسلام يتحدى، دراسات في التاريخ الريفي المغربي، العرب بين الأمس والغد.

المستشرق آربري:

إن اللغة العربية لغة حية، وحضارة العرب هي حضارة مستمرة فهي حضارة الأمس واليوم والغد، وعن طريق العرب عرفت أوروبا الحضارة، فقد كانت أوروبا تغطي في سباتها العميق حين كان العرب يصنعون الحضارات، وكانت جامعاتهم تخرج كثيرا من العلماء في حقل الآداب والعلوم والفنون والطب والهندسة (الجندي، بدون تاريخ، ص 302)، ومن أهم مؤلفاته فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الديوان الهندي، ترجمة مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي، تحقيق كتاب الرياضة للحكيم الترمذي، خمسون قصيدة لحافظ الشيرازي مع ترجمتها إلى الإنجليزية، ترجمة زنبقة سينا لمحمد إقبال.

الدكتور زويمر (كبير المبشرين)

يوجد لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار ومجال الدعوة إلى الله وهما الإنجليزي وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء (مستودع النفوذ والمال)، يريد كل منهما أن يلتهم الآخر وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري؛ أعني النصرانية والإسلام (الجندي، بدون تاريخ، ص 303)، كان مبشرا نشطا ولكنه فشل في عمله، من أعماله إنشاء دورية علمية فصلية، أبناء آدم دراسات العهد القديم من الشخصيات في ظل العهد الجديد العربية السعودية مهد الإسلام، العالم المحمدي اليوم، عقيدة المسلمين في الإله.

المطلب الثالث: تأثير الاستشراق

الأثر الإيجابي للاستشراق على اللغة العربية:

لقد كان للاستشراق جهود في خدمة التراث العربي ومما قام به المستشرقون بخدمة التراث العربي سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقصودة كانت أو غير مقصودة بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، ومن هذه الجهود ما يلي:

- 1- التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- 2- جمع المخطوطات منذ حملة نابليون سنة 1798م وحتى بعثات ملك بروسيا (فريدريش) سنة 1842م
- 2- وضع فهرس في عشرة مجلدات لمكتبة برلين للمخطوطات العربية وعددها 10000 مخطوط.
- 3- تحقيق المخطوطات ونشرهن مثل كتاب سيويه والإتقان للسيوطي و معجم الأدياء لياقوت الحموي و سيرة ابن هشام والكامل للمبرد.
- 4- ترجموا الكثير من الكتب العربية مثل تاريخ الطبري وإحياء علوم الدين للغزالي وترجموا معاني القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية الحية.
- 5- قاموا بالتأليف والتدريس وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

الأثر السلبي للاستشراق على اللغة العربية:

نعم لقد كان للمستشرقين دور في خدمة التراث ولكن تبقى في أنفسهم نزعات تعصبية وحقد ضد الإسلام وأهله ولغته إلا القليل منهم، فعندما علموا بأهمية اللغة العربية ودورها الأساسي في تنمية الفكر العربي وخدمة الثقافة ومكانتها من قلوب أهلها عقدياً وفكرياً أقدموا على صد الشعوب العربية والإسلامية عنها ووضع العراقيل والتشكيك فيها وفي قدرتها على مواكبة العصر وعلومه وصدق شاعر النيل¹ حين قال في تائيته² الجميلة على لسان اللغة:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَّهَمْتُ حَصَاتِي	وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسِبْتُ حَيَاتِي
رَمَوْنِي بَعْقَمٍ فِي الثَّيَابِ وَلِيَّتِي	عَقَمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
وَأَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي	رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ أَفْظاً وَغَايَةً	وَمَا صِفْتُ عَنْ آيِ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ	وَتُنْسِيقُ أَسْمَاءَ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَانِهِ الدَّرْ كَامِنِ	فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدْفَاتِي
فِيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي	وَمَنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي
فَلَا تَكُلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي	أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي

¹ هو محمد حافظ إبراهيم ، شاعر مصري ذائع الصيت، ولد في محافظة أسيوط 24 فبراير 1872م، عاصر أمير الشعراء أحمد شوقي، لقب بشاعر النيل، له ديوان شعري وأعمال نثرية، توفي بتاريخ 21 يونيو 1932م.

² القصيدة بعنوان رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَّهَمْتُ حَصَاتِي، ومن بحر الطويل

أرى لرجالِ العَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
وكم عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُم بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا
فيا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أُيْطِرُكُمْ مِنْ جَانِبِ العَرَبِ نَاعِبٌ
يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
ولو تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عِلْمُهُمْ
بما تحته مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الجزيرةِ أَعْظَمًا
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَنَّ قَنَاتِي

ومن ضمن العقبات والشكوك التي وضعها المستشرقون مايلي:-

- صعوبة تعلمها وأن مفرداتها معقدة
- التشجيع على عدم الكتابة بها ووضع الحروف اللاتينية موضعها أو استبدال رسم جديد.
- التشجيع على اللهجات العامية ودعمها.
- طلبوا من الشعوب بأن تكون لغة التعليم بلغة الشعب المستعمر.
- أرادوا هدم النحو العربي إلى مدرسة هي المدرسة البصرية
- التشكيك في وجود النحو وذلك بالادعاء أنه من نتاج ثقافات أخرى وتأثر بالفكر اليوناني.

3. الخاتمة:

في ختام هذا البحث لا بد لي من خاتمة متواضعة أضع فيها ما استنتجته من خلال التطواف في فكر المستشرقين وما اطلعت عليه في المصادر والمراجع وهي كما يلي:-

- 1- الاستشراق أصبح علما مستقلا بذاته وقد تحددت معالمه واتضحت أفكاره وعرفت أقطابه.
- 2- الاستشراق بما فيه من سلبيات وفسائس ضد الإسلام وأهله ولغته إلا أنه جاء بخير وخدم وقدم جهودا لم يسبق إليها، ولكن يبقى لا بد أن نكون حذرين مما يقدموه لنا فقد يدس السم في العسل.
- 3- أن المستشرقين على فئات متحدة أهدافهم إلا أنه هناك من بينهم مخلص وحيادي، وقد آل الحال ببعضهم أن يعلن إسلامه.
- 4- هناك إشارة على تكاتف المستشرقين وتكالبهم منذ العصور الماضية وحتى يومنا هذا تشير على أن الإسلام وأهله ومقدساته ولغته محل هدف الأعداء فعلينا أن نكون يقضين وذلك من خلال التسليح بالعلم والمعرفة لسد أي ثغرة ينفذ من خلالها المستشرق.
- 5- جهود علماء العرب والمسلمين بارزة جدا في مواجهة الفكر الاستشراقي منذ النشأة الأولى.

4. التوصيات والمقترحات:

- أهمية التفريق بين المستشرقين؛ فليس كل المستشرقين على نوايا واحدة، إذ منهم الباحث الموضوعي والمنصف، ومنهم المتعسف والمغرض ذو النوايا السيئة.
- لا بد من مواجهة الفكر الاستشراقي فكريا وذلك عن طريق البحث والدراسة المتعمقة والنقد البناء الهادف، ووجوب سد الثغرات التي يحاول النفوذ من خلالها المشككون وأصحاب الأهواء والمغرضة.

- ضرورة الحذر واليقظة في التعامل مع الاستشراق على الرغم من إسهاماته في خدمة الدراسات العربية والإسلامية إلا أنه لا يسلم من نوايا مبطنة تحاك في جنح الليل ظاهرها نهار مشرق تحمل مقاصد لا تخلو من ضرر.
- تشجيع البحث اللغوي العربي التي يهدف إلى تطوير اللغة من منظور داخلي بدلا من الاعتماد على الدراسات الاستشراقية فقط.
- تطوير المناهج لا سيما التي تمس اللغة العربية لتكون أكثر فاعلية لمواجهة الصيحات التي تهدف إلى صدع جدار اللغة ومواجهة التحديات المعاصرة والتأثيرات الخارجية.

5. قائمة المصادر:

- الحاج، ساسي سالم. (بدون تاريخ). الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية (الطبعة الأولى، الجزء الأول). دراسات العلوم الإسلامية.
- رضا، أحمد. (بدون تاريخ). معجم متن اللغة (الجزء الثالث). دار مكتبة الحياة - بيروت.
- الجندي، أنور. (بدون تاريخ). الفصحى لغة القرآن. دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.
- ابن الأثير الجزي، عز الدين. (1980). اللباب في تهذيب الأنساب (الجزء الثالث). دار صاد - بيروت.
- ابن منظور الإفريقي المصري. (1993). لسان العرب (الطبعة الثالثة، الجزء السابع). مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
- الأندلسي، علي بن محمد. (بدون تاريخ). جمهرة أنساب العرب. دار الكتب العلمية - بيروت.
- النبهان، محمد فاروق. (2003). الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الرباط - المملكة المغربية.

www.threads.defense-arab.com

Doi: <http://doi.org/10.52133/ijrsp.v6.67.11>